



تحتاج النفس البشرية المؤمنة إلى استثارات إيقاظية قوية كلما لفها الكسل عن الطاعة وأقعدها الميل إلى المتعة. وفي غمرة الزحام الديني المتکاثر من الملهيات والمغفلات والمكتسبات المادية المحضة تتطلع نفس المؤمن إلى حالة إيمانية ترفعها عن الأرض وترفرف بها إلى عنان الأفق الرباني الرحيب.

وتمر على النفس أوقات وأيام تكون فيها أقرب ما تكون إلى العودة إلى الله وبناء عهد جديد معه سبحانه، وتعد هذه العشر من ذي الحجة أنساب ما يكون لتلك الأوبة وخلاص التوبة.

والمنهج الإسلامي التربوي جعل من استغلال تلك الأيام وسيلة ناجعة ل التربية إيمانية موجهة، ودفعه قلبية روحانية صالحة، تغسل فيها القلوب العاصية من درنها، وتوّب فيها النفوس المقصرة إلى بارئها، وتأوي الروح فيها إلى حياة شفافة نقية لا تلوى على شيء غير الطاعة والإيمان.

جماع الخير

لقد جمعت تلك الأيام العشر الخير من أطرافه، فهي خير الأيام وأعلاها مقاما. فقد أقسم بها الله سبحانه في كتابه بقوله تعالى: "وليال عشر" إذ يقول جمهور المفسرين: إن مقصودها عشر ذي الحجة.

ورفع النبي، صلى الله عليه وسلم، شأن العمل الصالح فيها أيماناً رفعة حين قال: "ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعني أيام العشر"، أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه.

وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: "ما من عمل أزكي عند الله (عز وجل) ولا أعظم أجراً من خير عمله في عشر الأضحى"، رواه الدارمي عن ابن عباس وحسنه الألباني.

وأمر فيها صلى الله عليه وسلم بكثرة الذكر، إذ يقول صلى الله عليه وسلم: "ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثروا فيها التهليل والتکبير والتحميد". أخرجه أحمد عن ابن عمر.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم التاسع من ذي الحجة؛ فقد أخرج النسائي وأبو داود وصححه الألباني عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة ويوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر. أول اثنين من الشهر وخميسين"، قال الإمام النووي عن صوم أيام العشر: "إنه مستحب استحباباً شديداً".

وأمر بصيام يوم عرفة فقد روى مسلم عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم عرفة، فقال: "يكفر السننة الماضية والباقية" روى الطبراني عن ابن عمر أنه قال: "كنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعدله بستين" وصححه الألباني.

يقول الإمام ابن حجر في فتح الباري: والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره.

وكان التابعي الجليل سعيد بن جبير "إذا دخلت العشر اجتهد اجتهاداً حتى ما يكاد يقدر عليه"، روي عنه أنه قال: "لا تطفئوا سرجمكم ليالي العشر" يريد قراءة القرآن وصلاة الليل.

وقال ابن رجب الحنبلي: "لما كان الله (سبحانه) قد وضع في نفوس عباده المؤمنين حنيناً إلى مشاهدة بيته الحرام وليس كل أحد قادرًا على مشاهدته كل عام فرض على المستطيع الحج مرة واحدة في عمره، وجعل موسم العشر مشتركاً بين السائرين والقاعددين".

والمنهج الإسلامي التربوي جعل من استغلال تلك الأيام وسيلة ناجعة للتربية إيمانية موجهة، ودفعه قلبية روحانية صالحة، تغسل فيها القلوب العاصية من درنها، وتؤوب فيها النفوس المقصرة إلى بارئها، وتأنوي الروح فيها إلى حياة شفافة نقية لا تلوى على شيء غير الطاعة والإيمان.

وسائل شيخ الإسلام ابن تيمية عن عشر ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان أيهما أفضل؟ فأجاب: "أيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان، والليالي العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة".

وقال ابن القيم مقارناً بين فضل تلك الأيام: "خير الأيام عند الله يوم النحر، وهو يوم الحج الأكبر" كما في سنن أبي داود عنه صلى الله عليه وسلم قال: "إن أعظم الأيام عند الله يوم النحر، ثم يوم القر". ويوم القر هو يوم الاستقرار في منى، وهو اليوم الحادي عشر. وقيل: يوم عرفة أفضل منه؛ لأن صيامه يكفر سنتين، وما من يوم يعتق الله فيه الرقاب أكثر منه في يوم عرفة؛

ولأنه سبحانه وتعالى يدنو فيه من عباده، ثم يباهي ملائكته بأهل الموقف."

لقد جمعت هذه العشر حقاً الخير من أطرافه، فصارت بحق جماعاً للخير، فما من عمل صالح إلا ويستحب فيها، وما من أيام العمل الصالح فيها خير منها.. فهي خير محض للنفس الطاهرة النقية، وهي دورة روحية إيمانية تتبوأ من العام مكان الصدارة من حيث خيرية الأيام.

بين الحج والثج

أما من وفقه الله لحج بيته فقد وفقه إلى خير ما يحب، وقد اختاره ليغسله من ذنبه ويرجعه إن أخلص نيته وأحسن حجه كيوم ولدته أمه، ويسر له أن يفتح سجلاً جديداً أبيض يبتدىء فيه عهداً إيمانياً جديداً.

فثياب الإحرام تخرجه من حيز رؤية المtau وتضعه في حيز رؤية الكفن، فلا زينة خداع، ولا شهوة مغفلة، ولا صراعاً أحمق على الدنيا الزائلة، فالكل في ثوب الإحرام سواء تماماً كما هم في الثوب الأخير، والكل خائفون من الذنب راجون الرحمة التي وسعت كل شيء.

وليعلن المؤمنون يوم الحج إعلاناً عالمياً في وقت تنزف فيه الأمة وتسيل دمائها أن شعوب المسلمين في كل أنحاء الأرض هم على قلب واحد، ومنهج واحد، وهدف واحد.. يعبدون ربّاً واحداً، يرجون رحمته ويخافون عذابه، فليخسأ عندئذ الشيطان وأولياؤه، وليعتز كل مسلم بدينه، ذاك الدين الذي يعلو؛ إذ إن الله مولاهم وأعداؤه لا مولى لهم!!..

وفي ذات الوقت الذي يثج فيه الحجيج دماء هديهم.. وينهر المضحون دماء أضاحيهم يوم النحر وتعلو في الآفاق أصوات التكبير.. يقدم الشهداء الصالحون في كل ريوء الأرض دماءهم ونفوسهم طيبة رخيصة لوجه الله ربهم، فتبتسم شفاههم عند آخر أثر للروح، ويستقبلون الآخرة يثج منهم الدم.. اللون لون الدم.. والريح ريح المسك..

تعد أيام العشر من ذي الحجة فرصة تربوية يستطيع كل مرب أن يستغلها في التوجيه إلى معالي الفضائل والأخلاق، كما يستطيع أن يجعلها منطلاً صحيحاً لتجديد نفسي سنوي

المربون والأيام العشر

تعد أيام العشر من ذي الحجة فرصة تربوية يستطيع كل مرب أن يستغلها في التوجيه إلى معالي الفضائل والأخلاق، كما يستطيع أن يجعلها منطلاً صحيحاً لتجديد نفسي سنوي لمتربيه ومتعلمييه على مستوى الإيمان والتوبة والعمل الصالح.

وفي هذا السياق فإننا نقترح أن يكون ذلك من خلال بعض المحاور الأساسية مثل:

أولاً: صناعة البيئة الإيمانية:

فالمنهج الإسلامي يساعد المربi في تلك الأيام على تهيئة البيئة الإيمانية وصناعة الجو الإيماني العام المؤثر على الأفراد المراد توجيههم.

فالصيام والتکبير والذكر وعدم الأخذ من الشعر أو الأظفار للمضحين وارتفاع أصوات التلبية من الحجيج في شتى الأماكن تنقلها الإذاعات ووسائل الإعلام وشراء الأضاحي والاستعداد ليوم النحر، كل ذلك يساعد المربi على إكمال الجو الإيماني المطلوب.

ودور المربi هنا هو استغلال ذلك بأعمال دعوية تكون ذلك الجو الإيماني الصالح، فيدعu متربيه إلى لزوم المساجد لأوقات قد تطول بعض شيء وينتظرون من خلالها الصلاة بعد الصلاة، ويتلون من خلالها القرآن، ويتحينون الفرصة عند الإفطار في كل يوم للدعاء الصالح والمناجاة.

كما يمكن المشاركة في بعض الأعمال الجماعية التي تنشئ روح التضحية والبذل كالاجتماع على صناعة طعام للصائمين، ودعوة الفقراء لذلك الطعام الذي قد أعدوه بأنفسهم وتعيوا في إعداده وتعاونوا على الإنفاق عليه من أموالهم الخاصة.

كما يمكنه أن يجتمع بهم فيتلاو عليهم آيات وأحاديث تأمر بالصدقة والبذل والعطاء وسير الصالحين في التصدق في سبيل الله ثم يأمرهم بالخروج للتصدق (كل على حدة) ويدركهم باستحضار النية الصالحة وإخفاء الصدقة.

كما يمكنه أن يذكرهم بحديث أبي بكر الصديق يوم أن قام بأربعة أعمال صالحت، هي: الصيام، واتباع الجنائز، وعيادة المريض، والتصدق بصدقة، وبأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال عنه لما عرف ذلك منه: "ما اجتمعن في رجل في يوم إلا غفر الله له"، فيتشبهون بفعل أبي بكر في جمع تلك الأعمال الصالحة الأربع في يوم... وغير ذلك.

ثانياً: الدعوة للتغيير النفسي:

تناسب هذه الأيام أن يجدد المربi دعوته لمتربيه أن يقوموا بعملية تغييرية لأنفسهم وأخلاقهم السيئة أو السلبية وعاداتهم المرفوضة إلى نفوس نقاء للخلق جميعاً، وأخلاق تتشبه بأخلاق نبيهم - صلى الله عليه وسلم -، وعادات إيمانية طيبة، خالعين أخلاق وعادات الجاهلية والنفعية وما يتعلق بحب النفس والرغبة في العلو على الآخرين.

وينبغي أن يوجه المربi توجيهه نحو ذم خلق الكبر والعجب مذكراً إياهم كيف أمر الشرع أن يستوي الناس في الحج في ثيابهم وسلوكهم وكلامهم وأهدافهم، وأن يتركوا الدنيا والعلو فيها.

وكيف يستوون في الرغبة فيما عند الله يوم عرفة فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح، كما يوجههم نحو السيطرة على النفس وعلى شهواتها ورغباتها وترك الترفه والتنعم ما استطاعوا إلى ذلك والاخشوشان عملاً بحديث النبي صلى الله عليه وسلم "البذادة من الإيمان"، وتشبيهاً بالمحرمين الذين لا يجوز لهم الترفه بحال ولا التنعم بشيء من المتع الممنوع منه المحرم، بل ضبط للنفس ورباطة للجأش وبعد عن شهوات الفرج والجنوح نحو المعاصي "فلا رفت ولا فسوق

ولا جدال."

ثالثاً: التوجيه نحو التعاون والاعتصام:

ففي العشر من ذي الحجة تبين معاني الاعتصام بحبل الله - تعالى - وعدم التفرق، فال المسلمين جميعهم كل عام يرغبون في حج بيت الله _ تعالى _، والحجيج يمثلون أعظم الصور الواقعية من التعاون والاعتصام بذات المنهج وذات الهدف في مشارق الأرض ومغاربها، والذين لم يقدر الله لهم الحج لهذا العام فهو يشارك الحجيج مشاعرهم القلبية وترفرف روحه من حولهم داعياً ربه أن يلحقه بهم في قابل.

والمربي هنا يدعو مربيه لنبذ الخلاف والتفرق والسعى للوحدة وعدم استحقار العمل الصالح من أحد أياً كان، ورؤوية العاملين لله جميعهم على ثغور مستهدفة، فيدعوا لهم، ويرجو لهم النصرة، ولا يخذلهم ولا يسلّمهم، بل يدعوا لهم وينصرهم بما استطاع، ويناصحهم فيما رأه خطأ منهم ويوجههم بالحسنى فيما خفي عنهم.

إنها أيام صالحة مباركات، ينتظرون المؤمنون الصالحون؛ ليخلعوا ربقة الارتباط بالدنيا عنهم ويتحررروا من قيد الشهوة وقيد الأماني البالية، ويستطرروا سجلاً من نور، فلا مادية تكسر حاجز الشفافية ولا معصية تنس الطاعة بل ذكر وخشوع وتوبة وبكاء، فيرون الكون كله حبور وشفافية، ويمتزج النور بالسعادة، والأمل بمعنى الصدق، وتصبح الجنة هي المطلب والإخلاص هو المرتجى، وحسن الظن بالله هو كهف الأمنيات.

المصادر:

المسلم